الادلة المقنعة
الى طرق المنفعة

الخليفة الحاج محمد انياس

نيل المرام
NAYLOUL MARAM
WAKEUR MAME KHALIFA NIASS

الأدلة المقنعة إلى طرق المنفعة

للخليفة المقدم، والمقدم في المعارف على كل مقدم

السيد الحاج محمد الخليفة انياس الكولخي

في شرح المنفرجة التي هي منور القلوب ومفرجة الكروب،

لناظمها ناصر الطريقة التجانية، وناشر أعلامها بين الأنام

ذي المراتب العرفانية

السيد الشيخ أحمد سكيرج الانصاري

أبقى الله حرمتها وبلغهما في الدارين أمانيهما، آمين

خرج أحاديثه، خادم الحديث

الأستاذ الهادي القادر محمد التونسي

عناية وتقديم : **سيدي الأمين انياس**

العنوان الادلة المقتعة إلى طرق المنفعة، في شرح منفرجة سيدي أحمد سكيرج الأنصاري

النظم : سيدي أحمد سكيرج الأنصاري

الشرح: الخليفة محمد انياس الكولخي

تخريج الأحاديث: الأستاذ الهادي القادر محمد التونسي

www.NayloulMaram.com

بقلم الفقير الخادم لحضرة الحاج محمد نياس

السيد بابكر طور نيل المرام

تصميم: ادريس جوم

الطبعة: الثانية

الطبعة الأولى: [مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر بمصر، لصاحبها إسماعيل عبد الله الصاوي، القاهرة ، سنة 1351هـ / 1933م]

جميع الحقوق محفوظة

تصدر هذه الطبعة الثانية من كتاب " الادلة المقنعة إلى طرق المنفعة" ، (وهي شرح للخليفة محمد انياس الكولخي السنغالي التجاني، على منفرجة سيدي أحمد سكيرج الأنصاري المغربي التجاني...،) في الترتيب الرابع ضمن "سلسلة مؤلفات الخليفة الحاج محمد انياس" ، وذلك بعد إحدى وثمانين سنة من خروج طبعتها الأولى من القاهرة ، عام 1933م.

وكان الصحيح أن يأتي هذا الكتاب في الترتيب الثالث ضمن " سلسلة مؤلفات الخليفة الحاج محمد انياس" ، نظرا لمبدإ التعاقب الزمني في التأليف، والذي حكمناه في ترتيب السلسلة ترقيما. لو لا أننا وقفنا على كتاب "الأدلة" في نسخته المطبوعة، بعد صدور الكتب الثلاثة الأولى من السلسلة، والتي جعلنا فيها كتاب " الجيوس الطلع".

فكتاب " الأدلة" وضع قبل كتاب " الجيوش" ببضعة شهور، لأن الشارح انتهى منه بتاريخ: يوم السبت، الرابع عشر من شعبان سنة 1347هـ الموافق ب (25 يناير 1929م)، بينما انتهى من كتاب " الجيوش " بتاريخ: يوم الاثنين، الثاني من المحرم سنة 1348هـ الموافق ب (9 يونيو 1929م)، فتبين بهذا أن كتاب "الأدلة"

سبق خروج كتاب " الجيوش " بفترة زمنية تزيد عن أربعة شهور، فكان الأولى وفقا لذلك = أن يحتلّ مكانه في الترتيب الثالث ضمن السلسلة. وحرصا على تراتب السلسلة فحسب، نترك الآن كتاب "الأدلة" في الترتيب الرابع ،(أي كتاب "الجيوس") ضمن هذه السلسلة، على أن يتم تدارك الخطأ في النشرة القادمة للسلسلة إن شاء الله.

و"الأدلة المنفعة إلى طرق المنفعة" شرح لطيف أقامه الخليفة الحاج محمد انياس الكولخي على " **منفرجة**" لسيدي أحمد السكيرج جاءت في واحد وأربعين بيتا، وقد انتهج فيه نهجا بارعا يتبدى ملامحه في :

1- اقتصاره على شرح معاني كل بيت على حدة ، دون الانحصار على شرح مفردات البيت شرحا لغويا جانبية هو في غنى عنها.

2- استئناسه بالآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية التي تدعم معاني البيت المشروح.

3- توسعه في طرق المعاني الإيمانية المكنونة في القصيدة، وتلمس آفاقها الروحية العالية، ونقلها بشكل جميل ينبئ أن صاحب الشرح ذو قلب رقيق ذواق وحساس، كثير التجوال في رياض الإيمان والعرفان، وأنه من أفذاذ الرجال الكاملين

4- إرفاقه شرح بعض الأبيات بقصص ونوادر وطرائف تجسد معنى من معاني البيت في صورة حية وفي دائرة قصة فيها العبرة وفيها العظة والحكمة.

هذا، وقد صدر الكتاب في طبعته الأولى مرفقا بتخريج للأحاديث التي قام به الأستاذ الهادي عبد القادر محمد التونسي غير أنه اكتفى بتخريج ما وقف عليه من هذه الأحاديث، وما لم يقف عليه يشير إليه في الهامش بقوله: (لم أقف عليه)

وقد أحصينا الأحاديث التي تركها هذا المحدث دون تخريج، وحاولنا الاستدراك على عمله قدر المستطاع

وينبغي الإشارة إلى أن المخرج الأستاذ الهادي عبد القادر محمد التونسي سمح لنفسه في موضع من مواضع الكتاب أن يتجاوز دور المخرج ليلعب دور المعقب على الشارح، وكان الاولى أن يقوم بذلك خارج هذا الكتاب، أو يستدرك على الشارح في تأليف مستقل به.

على أنه في تعقيبه خالفه الصواب كما سيقف عليه القارئ في الهامش الموجود أسفل الصفحة: (75) من الكتاب، وذلك في معرض تسجيل المخرج مؤاخذة على الشارح، هي كون الخليفة الحاج محمد انياس نقل حديثا من كتاب "التاج"....، وهو ليس بكتاب حديث ، وسيجد القارئ في ذلك الموضع المؤاخذة المزعومة كما ورد ...، ثم تعقيبنا على تعقيب المخرج.

هذا وقد اقتصرنا في خدمة الكتاب والعناية به على يلي من الخطوات :

1- المحافظة على شكل الكتاب كما صدر في الطبعة الأولى.

2- عنونة الكتاب وتخصيص كل بيت مشروح بعنوان فرعي يعبر عن محتواه

3- استدراك تخريج الأحاديث غير المخرجة في الطبعة الأولى، وهي في عداد اثني عشر حديثا. وقد جعلنا هذه الاستدراكات في الهوامش بتوقيعنا كناشر، تمييزا لها عن تخريجات المحدث المذكور

4- كتابات الآيات القرآنية، وفق المصحف والرسم العثمانيين

5- ترقيم أبيات المنفرجة،

6- إيراد نص القصيدة كاملا، في آخر الكتاب،

وهذا وقد كنا نود توسيع العناية الفنية إلى جوانب أخرى، وأن نحقق النقول الواردة في الكتاب،.... تطبيقا لشروط التحقيق،.... لولا ضيق الوقت، ولنا أمل في تدارك ذلك في طبعة قادمة بإذن الله...

هذا، والله ولي التوفيق

دكار - السنغال

2014/07/29م

تقديم

بقلم الناشر سيدي الأمين انياس

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. خلق فسوى، وقدر فهدى، فجعل التقوى منارة لأولي النهي، فقال عز من قائل: " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ " (سورة البقرة: 282)، وقال جل وعلا: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " (سورة المجادلة : 11)

والصلاة والسلام على من أصّل وراثه العلماء للأنبياء، فقال: " *وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر* "[1] ورضي الله عن الإمام الشافعي القائل: "*إن لم يكن العلماء أولياء الله في الآخرة فما لله ولي*"

وبعد:

فإن العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، " وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ " (سورة النور:40)، ولذلك كان العلماء نجوم الأرض ومصابيح الدجى: " وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " (سورة النحل: 16)، تشرق أنوارهم على الخليفة، وكأنها زجاجة توقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية.

ولا غرو، وحالهم كما وصفنا، إذا ألفيناهم يستقيمون على الطريقة السوية، ويسيرون على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، يسلكون شتى طرق الاجتهاد، والاستنباط، وفق ما يفتح لهم ربهم، وتبلغه آفاق عقولهم ومقاييسهم، غير أنهم مهما تعددت مسالكهم، يظلمون مقتبسين من نور الأصول الثابتة، يهتدون به في الطريق، فاختلافهم رحمة. والشريعة التي يدورون حول رحاها، قائمة على جلب المنافع، ودفع المضرات: "***لا ضر ولا ضرار***"[2]

[1] في حديث رواه الترميذي وغيره، وصححه الألباني

[2] رواه الإمام مالك في الموطأ، وابن ماجه والدار قطني وغيرهم

هذا، وقد كان من نتائج تعددية الاجتهادات والاستنباطات ما رأينا من مذاهب ومناهج مختلفة، بعضها يجعل النص دائما نصب عينه، لا يتعدى فهمه ومداركه ظاهر النص وحرفيته، (فعبدوا الله على حرف)، وبعضها آثر استخدام سائر آليات النظر، والاستدلال والقياس والترجيح في تنزيل النص، وتفهمه يتأرجون بين تغليب المقاصد وفهم المصالح وإدراك الوقائع المعيشية، ثم تأسيس الاجتهاد والفتوى وفقا لأصول الفهم والفقه الصحيحة المتداولة بين جمهور العلماء.

ومن هذا الصنف، كان الخليفة محمد انياس الكولخي، شارح ***" المنفرجة السكيرجية"*** التي بين أيديكم. فقد كان بحرا فياضا تنبع منه عيون العلم والمعرفة والأدب

وكان شديد البعد عن الحرفية والظاهرية وأحادية الرأي والتحجر الفكري في معالجته للنصوص ودلالاتها.

وكان واسع الاطلاع، ذا باع طويل في البحث ونفس مديد في التنقيب مفتوحا عليه في علوم القوم، عنيت علم الأذواق. ولا غرو فهو الذي ظهرت فيه **مخائل** النجابة والعناية الإلهية، منذ ناهز الفطام، وأفنى شبابه في التحصيل حتى صار بارعا في شتى العلوم والمعارف.

وكيف لا يكون كذلك ...!، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن الله ربه، فهو محمد الخليفة ابن الدوحة العالية وشجرة النخلة الشامخة ذات الثمار اليانعة والقطوف الدانية، أعني العلامة المجاهد الحاج عبد الله انياس، مؤسس البيت العبدلاوي، والده، ووالدته السيد آمنة تيام

وكان والده الحاج عبد الله انياس عالما عاملا وناصحا ورعا، مفتوحا عليه في العلوم والفنون، مشارا إليه بالبنان. وكانت والدته آمنة تيام من بيت علم وصلاح تشد إليه الرحال من البقاع، فحاز الحاج محمد الخليفة خلاصة الإرث النبيل من هذين البيتين المباركين.

وكان الخليفة الحاج محمد أديبا وفقيها متصوفا عالما بالحديث واللغة والمنطق والبديع والبيان شاعرا سجدت له البحور والقوافي.

وكان يذهب في الكتابة والبحث مذهب الأصوليين يربط بين العلة والمعلول، ويدقق في الدلالات ومستوياتها، يجمع بين التفسير الصريح والتأويل الخفي، يتدبر في المقصد والمغزى، يتحرى في المحكمة والمتشابهة ليرفع النقاب عن وجوه الاحتمالات الممكنة وما أكثرها وأدقها.

وقد رأيناه في شرحه لهذه القصيدة المنفرجة التي نظمها سيدي أحمد سكيرج الأنصاري المغربي، ناصر الطريقة التجانية وترجمانها الأصيل يعمق النظر في مقاصد الآيات ومعانيها، يتعرض لمناقشة الفلاسفة في مقولاتهم، يحاور أهل التوكل والتواكل في منطق كل واحد منهما يحرص على إظهار الحق ساطعا، حتى يتبين لهم أنه الحق ويتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر.

هذا، تعرض الخليفة الحاج محمد انياس هنا لشرح منفرجة العلامة سيدي أحمد سكيرج الأنصاري المغربي.

و"المنفرجة" موضوع ذو ذيل طويل، وهو لون شعري جميل يحمل خلال أبياته ضراعات الواقفين على باب الله، يرجون رحمته، ويخافون عذابه يشكون إلى مولاهم الشدة والبلاء، ويستمطرونه الفرج والنعماء.

وقديما قالت العرب: " اشتدي يا أزمة تنفرجي "، تعبيرا عن معادلة انفرج الأزمة حين اشتدادها، حتى نسب بعضهم هذا المثل السائر إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم.

كما روى عن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ في " نهج البلاغة " مقولة:

" عند تناهي الشدة، تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء"

إلى أن جاء ابن النحوي الأندلسي، فجعل المثل السائر لدى العرب صدر قصيدة منفرجة له ضمنها ضراعة متذلل بباب الله، راجيا كشف غمه وتيسير أمره كما شحنها بمعان إيمانية صوفية في غاية الروعة والجمال. يقول ابن النحوي في مطلع منفرجته:

*استدي أزمة تنفرجي*** قد آذن ليلك بالبلج*

وظلام الليل له سرج حتى يغشاه ابو السرج

وقد لاقى هذه المنفرجة لابن النحوي التوزري التلمساني (المتوفى: 513 هـ الموافق ب 1119م) قبولا كبيرا لدى العلماء، فتناولها فئة منهم بالشرح، من ناحية، وفئة أخرى بالمعرضة الشعرية من **ناحية أخرى**. وكان حجة الإسلام، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي من بين هؤلاء فوضع منفرجة مشهورة، مطلعها:

الشدة أودت بالمهج

يا رب فعجل بالفرج

والأنفس أضحت في حرج

وبيدك تفريج الحرج

وفي العصر الحديث، رغب سيدي أحمد سكيرج، ناصر الطريقة التجانية وناشر أعلامها بين الأنام ذوي الرتب العرفانية، أن ينتظم في سلك هؤلاء العلماء الأفذاذ والربانيين الفضلاء، فجادت قريحته بهذه المنفرجة التي نقدم إليكم أبياتها مرفقة بشرحها الذي صادق عليه الناظم في حياته والذي قام به ابن روحه ـ كما كان يدعوه دائما الخليفة الحاج محمد انياس الكولخي السنغالي.

وبذلك أصبحت " المنفرجة السكيرجية " بالإضافة إلى قيمتها الذاتية باقة علمية نادرة، يتجاوز فيه البعد الفلسفي والصفاء المعرفي والبيان الفني والعمق العلمي يطعمها الشارح بلفتاته اللغوية البارعة، وبنقوله الهادفة وقصصه الظريفة والطريفة، حمّالة العبرة والعظة واستدراكاته المهمة ونقاشاته الرصينة.

لهذه الأسباب مجتمعة، نشرنا كتاب " ***الأدلة المقنعة إلى طرق المنفعة***"، فموضوعه سيظل هو موضوع الإنسان في أي زمان وفي أي مكان ألا هو عبوديته أمام ألوهية مولاه سبحانه وتعالى.

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على شفيع الأولين والآخرين وصحبه الطاهرين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني الكبير، محمد بن الحاج عبد الله انياس، تولى أمره مولاه:

لا يخفى على كل عاقل لبيب له ذوق سليم ورأي في نظره مصيب، أن الوقوف بباب الله عند ضيق الأمور وارتكام الأهوال، وجيشان الصدور هو المنجاة الكبرى والعروة الوثقى التي لا تخاف انفصاما ولا بترا فيه ينزل الله لنا الفرج، ويخرجنا لسعة الأمن بعد الضيق والحرج.

ولا شك أن من أنجح يتوسل به الحائر المكروب وأنفع ما يتضرع به الشجى المغلوب ويتجر به الراغب إلى الله تعالى لنيل المطلوب، بضاعة المعارف بالله ـ تعالى ـ الواصل، فريد دهره وأوانه بين أهل المجامع والمحافل، من حاز قصب السبق في كل مضمار، سلالة من "تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإيمَانَ[3] " من قبل فدعوا بالأنصار، القطب الذي دارت عليه رحى طريقتنا الأحمدية، الحامي ذمارها بالنجدة الكاملة والمآثر الخزرجية، ألا وهو: الشيخ أحمد سكيرج:

لا زالت شمس طلعته بازغة، وينابيع فيوضاته بين الورى نابعة

قال الشاعر:

أجل قدرك أن تسمى مؤبنة *** ومن يصفك فقد سماك العرب

[3] سورة الحشر :9

وأما بضاعة المشار إليه بالبنان التي هي عصمة كل تائه حيران فهي بديعته الطنانة، وروضة فكرة الوارقة، الفيانة التي بها الأحزان عنا منفرجة، فهي حقا كاسمها المنفرجة.

ولما كانت ابصار أهل الله إليها رامقة، وسويداوات قلوبهم لها وامقة، لما جمعت من حكمة بارعة، ودلت إلى الله تعالى من كل نفس ضارعة، = قام العبيد الحقير الراجي ستر مولاه الكبير، يريد التطفل على منزعات موئدها والعكوف على اجتناء فرائدها وفوائدها، ورام أن يضع عليها تعليقا لطميفا .... لعلي أدخل في زمرة القوم، وإن حاز شكلي عن شكلهم تحريفا، لأن سواد الجلد لا يتعدى إلى القريحة السليمة، ولا يضر الجبلة الطبيعية القديمة

وسميته **" الأدلة المقنعة إلى طرق المنفعة"**

وأرجو من الله تعالى أن تكون تجارة رائجة وذخيرة عن جميع الكساد والخسران خارجة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وهذا أوان الشروع في المقصود.

والله المستعان.

آخر الكرب أول الفرج

قال ـ رضي الله عنه ـ [من بحر المتدارك]:

1ـ فرج الله بالقرب منك يجي * لا توقع نفسك في الحرج**

أقول جرد ـ رضي الله عنه ـ مخاطبا من نفسه، كما هي عادة الشعراء الجاهلين والإسلاميين، قال علقمة:

لمحي بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيت**

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أمن أل نعم أنت غاد فمبكر*** غداة غد أم رائح فمهجر

إلى غير ذلك، مما لا يحصى.

وهذا النوع يسميه أهل البيان: التجريد

وفي الخبر " ما اجتمع الرجاء، وخوف الله تعالى في قلب مسلم، إلا ودخل الجنة"[4]. ونظمه بعضهم، فقال:

ما اجتمع الرجاء وخوف البارئ *** في أحد فراح ريح النار

وفي حديث الاستسقاء: " إن الله تعالى ليضحك من جزعكم وقرب غياثكم[5] " أو كما قال. قال بعضهم:

وكم هم تساء به صباحا *** وتعقبه المسرة بالعشي

إذا ضاقت بك الاحوال يوما *** فثق بالواحد الأحد العلي

والحرج: الضيق والشدة

يعني [أي الناظم]، أن من علم أن مولاه قريب الفرج، علام يوقع نفسه في الضيق والشدة. وهذه طريقة أهل الله في حسن الظن به

---

[4] ورد حديث قريب من هذا اللفظ في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله عز وجل الرجاء، وآمنه الخوف، هب: مرسلا، انظر: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، البرهانفوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني ـ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ / 1981م، ص: 104/3 ـ الرقم 5868. [الناشر]

[5] روى البيهقي في " دلائل النبوة " حديثا مرفوعا بلقط قريب من هذا، وهو: " إن الله ليضحك من شعشكم وأذاكم وقرب غياكم ". البيهقي، " دلائل النبوة " ج. 6/ 143. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ 1450 هـ [الناشر]

الرضا بالقضاء والقدر يصفي القلوب من المرارة والكدر

وقوله ـ رضى الله عنه:

2ـ سلم الأمر تسلم من عطب * فالرضى بالقضاء مسلي المهج**

يريد ـ رضي الله عنه ـ أن تسليم الأمور إلى الله تعالى= هو مفتاح النجاة والسلامة في الدنيا والآخرة، ولكن ما ظفر به إلا الكمل من أهل الله تعالى، وقليل ما هم.

ومن الإيمان الرضا بالقدر خيره وشره حلوه ومره ومن شعر بعض القوم:

وسلم إليّ الأمر واعلم بأنني *** أنفذ أحكامي وأفعل ما أشا

ومن كلام عمر ابن عبد العزيز ـ رضى الله عنه: اصبحت، ومالي سرور إلا في مواقع القدر.

والمهجة: دام القلب والروح

يعني والله أعلم ـ أن من رضي بقضاء الله تعالى من خير وشر وحلو ومر، تسلت نفسه، بفضل الله تعالى عن مرارة لا يوافقها. وهذه حالة القوم رضي الله عنهم.

التسليم بعدل الله أساس الإيمان

وقوله ـ رضي الله عنه:

3ـ واعلم أن الله جل علا * في تدبيره ليس من عوج**

يريد أن تدبير الله تعالى جل جلاله= عدل، لا يجوز في حكمه، وكل أمره خير، إما فضل، وإما عدل. والصفتان له صفتا كمال. ولذا قيل: كم من نقمة في طيها نعمة، ـ وبالعكس ـ، لأنه عز وجل العالم بمصالح العباد، العالم بحقائق الأشياء.

وفي الخبر:" عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل "[6]

[6] رواه أحمد في المسند، والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، وهو صحيح.

وفسرت بالمصائب الدنيوية، والبلايا التي تمحص الذنوب، وتكون سببا لدخول الجنة من غير اختيار من أهلها.

وقال عز وجل: **"** وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ **"**، (سورة الشورى: 30)، لأن فعله تعالى للمؤمنين، إن كان في الظاهرة محنة، فهو في الباطن منحة، وهذا هو معنى: **(المؤمن على خير).**

والعوج: الاعوجاج والميلان عن الاستقامة، ذلك محال في فعله تعالى: **"فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ "**: (سورة الملك :3، 4)

لا راد لحكم الله

وقوله ـ رضي الله عنه:

4ـ قد قضى ما قضاه في أزل* **ببديع الأحكام بالحجج**

وهذا يؤيده قوله عليه السلام: **"** جف القلم بما هو كائن[7] **"**، لأن قضاء الله سبق في أزله قبل أن يخلق الخلق، فلا محيص لجميع المخلوقات عما قضى عليها في سابق أزله. **وفطرة الخلق ببديع حكمته**، وأخرجهم من ظلمة العدم إلى ضوء الوجود وعن ما تكسب كل نفس قبل ان يخلقها، فكتب عليها في سابق الأزل ماهي أهله، إما من خير أو شر

ومن هنا، قامت قيامة الجبرية والقدرية وجاوروا في فهمهم، وقسطوا في حكمهم، سبحانه عما يقولون علوا كبير.

فمنهم من قال: (إن الله يخلقنا، ونحن نخلق أفعالنا). وهذا الأخير: معتقد أهل السنة، إلا أن العمل بمقتضي إطلاقه: ضلال والصاب ما استخرجه الإمام أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ من بين المذهبين، وهو الحكم بمناط التكليف.

[7] رواه الطبراني في الكبير، من حديث ابن عباش ـ رضي الله عنهما، وهو حسن

وفي الإضاءة:

نعم له كسب به يكلف شرعا ولا تأثير منه يعرف

فائدة: " حكى أن الجنائي، شيخ المعتزلة، جلس عنده أبو الحسن الأشعري، إمام أهل السنة. وكان أبو الحسن تلميذ الجنائي ، فقال الجنائي **:** سبحان من تنزه عن الفحشاء ، ففهم أو الحسن ، وعلم أنه كلمة حق أريد بها باطل لآنه يريد أن الله تعالى لم يخلق المعاصي، وإنما خلقها الإنسان ، فقال أبو الحسن : سبحان من لم يكن في ملكه إلا ما يريد ، ففطن له المعتزلي أنه فهمه، فقال الجبائي : أفرأيت إن منعني الهدى، وكتب عليّ الشقاء، أحسن إلي أم أساء؟، فقال أبو الحسن: إن منعك ما هو لك، فقد أساء عليك، وإن منعك ما هو له ، فيفعل في ملكه ما يساء، فأفحمه " ، فانظر ـ رحمك الله تعالى ـ هذا الجواب المسكت القاطع ، لحجة الضلال ، وفقنا الله وغياكم إلى طريق الهدى.

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

وقوله ـ رضي الله عنه:

5ـ أعطى الأشياء حقائقها * وهي عنها حقا لم تعج**

وذلك لأن الله تعالى هو العالم بحقائق الأشياء، والمعطي لكل شيء حقيقته.

والعارفون بالله تعالى، يطلعهم الله على الحقائق حتى يعلموا الأشياء، من حيثما هي أن لها حقائق لا تتعداها.

قال الحاتمي ـ رحمه الله تعالى ـ في بعض مشاهداته، يشير إلى أنه له حقيقة هي التي منها معارفه:

حقيقتي همت بها *** وما رآها بصري

ولو رآها لغدا *** قتيل ذاك الحور

يشير إلى أن الذي يتصرف بالروح الحيوانية مجازه، وأما حقيقته، فهي محل كمالاته، وهذا منسحب في جميع الأشياء. ومن هذه الحيشية = الأبيات التي سئل عنها سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه ـ وهي:

حقيقة ظهرت في الكون قدرتها*** فأظهرت هذه الأكوان والحجبا

تسترت بعيون العالمين كما *** تعرفت بقلوب العرف الأدبا

الخلق كلهم أستار طلعتها *** وجملة الأمر قد كانوا لها **نقبا**

إلى آخر الأبيات. ومن كلامه ـ رضي الله عنه:

" الأسماء القائمة التي يطلبها الكون هي التي لا وجود للكون بدونها (وهي تعثر عليها العارفون) = هي الأسماء العاليات التي من عرفها علم منها، لما وجدت تلك الذات؟ وما مراد الله منها؟ وما عاقبة أمرها من خير وشر؟ فتعلم من هذا أن كل ذرة من هذا الكون لها اسم، وهكذا أجزاء الكون كله ذرة "

التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب:

6ـ لا تدبر في شيء حيلا * فيها تهوى من على الدرج**

وذلك لأن إسقاط التدبير، توكلا على الله تعالى هو حجة العارفين، رضي الله تعالى عنهم. فمنهم من لا يأمر من يناوله الماء عند شدة العطش، ومنهم من إذا سقط سوطه لا يأمر من يناوله إياه. وقال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله = لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصها وتروح بطانا[8]

فائدة: اعلم ـ وفقنا الله وإياك لسبيل الهدى ـ أن التوكل حق التوكل = لا ينافي التسبب لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو سيد المتوكلين، وقد ادخر قوت عياله سنة. وقال: " اعقلها وتوكل [9]"، فعلم من هذا التوكل هو = قطع القلب النظر عن النفع بالسبب، لكن الله تعالى هو النافع بها وبدونها.

قال الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى *** أتته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة *** وكان يراها عدة للشدائد

والدرج المراقي.

يعني أن الاتكال على الحيل يحط من درجة المتوكل، وهي أعلى الدرج

---

[8] رواه أحمد وأبو داوود الطيالسي، والترمذي، وابن ماجه، من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ به مرفوعا ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان

[9] رواه الترمذي في موضعين من جامعة، في الزهد وآخر العلل والبيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن عنس به مرفوعا. وقال الترمذي: غريب. ورواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الصبر مفتاح الفرح

وقوله ـ رضي الله عنه:

7ـ واصبر فيما قد عراك وكن * ماسكا بعراء لدى العرج**

وذلك لأن الصبر هو مفتاح الفرج. قال تعالى: " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (سورة الزمر:10)، وقال عز وجل:" فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ .. " (سورة الأحقاف:35)

ومن الشعر:

وكل ملمة إن أنت فيها* صبرت لها أتيح لها انقضاء**

وفي قوله ـ رضي الله عنه: (عراك، وعراء): جناس محرف.

والعرج: الظلع، وهو استعارة عن عدم استقامة الأمور، فعند ذلك التمسك بعروة الله الوثقى ـ وهي الصبر ـ ينال به كل مطلوب

الصبر من المذاق لكن عاقبته محمودة

وقوله ـ رضي الله عنه:

8ـ فالصبر عواقبه حمدت* وهو أَمْرٌ أَمَرُّ من الحدج**

اما كون الصبر محمود العاقبة، فقد مر ما في ذلك

والحدج: محركة ـ الحنظل.

يعني أن الصبر مر المذاق، صعب المراس ولكن عاقبته محمودة.

قال الأحنف بن قيس ـ رضي الله عنه: " رُبَّ مُرَّ تجرعته، مخافة ما هو أَمَرُّ منه.

وفي قول الناظم أبقاه الله تعالى :(**أمر وأمر**) جناس محرف.

وروي: أن بهلول المجنون رأى صبيانا يتبعونه، وقالوا: نحن نحبك، فر ما هم بالحجارة، ففروا! فقال لهم لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي.

وقال الشاعر:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا**

الشكر عن النعم علامة العبودية:

9- واشكر مولاك على نعم * فهي بحر غدا طامي اللجج**

فالشكر، حقيقة: الثناء على المنعم بجميل صفاته، وهو ينقسم إلى:

- الشكر باللسان، ومنه قوله تعالى: " وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ " (سورة الضحى:11).

- واعتقاد بالجنان، ومنه قوله تعالى: " مَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ "(سورة النحل53)

- وعمل بالأبدان، ونه قوله تعالى: " اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ": سورة سبأ:13).

ومنه ما روى أن رسول الله قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: ألا تستريح، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال "أفلا أكون عبدا شكورا [10]" وقال عز وجل: لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ..." (سورة إبراهيم: 7)، ولكن الله تباك وتعالى قال، جل من قائل " ... وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ " (سورة سبأ13).

جعلنا الله وإياكم من الشكرين، لأن نعم الله علينا بحر لا ساحل له، فما من حركة ولا سكون، بل ولا مصيبة في الدنيا غلا ولله علينا فيهه نعم لا تحصى.

ومن الخبر: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" [11]

واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.

[10] رواه البخاري

[11] رواه البخاري عن أبي ابن عباس - رضي الله عنهما

الاعتماد على العمل المجرد يؤدي إلى الخسران

وقوله ـ رضي الله تعالى عنه:

10ـ وعليه اعتمد لا على عمل * وتعلم واعمل فتبتهج**

وذلك لأن الاعتماد على العمل من علامات الخسران، نعوذ بالله تعالى.

ففي الخبر: " لن يدخل أحد منكم بعمله الجنة"، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا ... إلا أن يتغمدني الله بفضله[12].

ومن كلام بعضهم: (ترك الأسباب بدعة، والاعتماد عليها فسق).

وهذا نحو ما قال الناظم ـ أبقاه الله تعالى ـ لكنه حض على العمل، لكن قال: إن الاعتماد في النفع لا يكون غلا على الله عز وجل.

وحض أيضا على التعليم لما فيه من معرفة ما أمر الله تعالى به ونهى عنه.

وفي الخبر: " الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالما ومتعلما"[13].

وفيه أيضا: **" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين "**[14] وفيه: " العلماء ورثة الأنبياء"[15].

وفيه: " إن لم يكن العلماء العاملون أولياء، فما الله من أولياء"[16]

والابتهاج: السرور والفرح. ا هـ.

---

[12] رواه البخاري

[13] رواه الترميذي واللفظ له والطبراني

[14] رواه البخاري

[15] إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم: رواه أحمد، وأبو داوود والترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما مرفوعا عن أبي الدرداء ـ رضي

[16] هذا من قول الشافعي رحمه الله: " ألم يكن العلماء اولياء الله في الآخرة، فما لله ولي ".

الركون إلى الله في السراء والضراء

وقوله ـ رضي الله عنه:

11- وارجع لله لدى جلل* أو جليل جلال منه يجي**

وذلك لأن الرجوع إلى الله تعالى في جميع الأمور = هو عبادة العارفين، لا يلتمسون كشف الضر ولا جلب المنفعة إلا من الله وحده.

قال ابن عطاه رحمه الله تعالى في" حكمه ": (ما تعذر مطلب أنت طالبة بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبة بنفسك). وقال عز وجل: " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...." (سورة الطلاق: 3)، وقال تعالى " أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ... " (سورة النمل:62).

والجليل من الأمور العظيم الخطير. والجلل: التاقة، وقيل من الأضداد. قال المرأة للنبي، ـ لما نعى لها أخوها وابنها وبشروها بسلامة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كل مصيبة بعدك جلل"، أي حقير. وهذا هو الإيمان الخالص لأن في الخبر: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من وله ووالده والناس أجمعين"[17]

الثقة بالمولى ساعة الضيق:

وقوله ـ رضي الله عنه:

12- ولتثق بالله فغن له * لطفا في مزلقك الحرج**

وذلك لن من وثق بلطف الله تعالى، واتكل عليه فهو واقيه، وكافيه من كل شيء: "أليس الله بكاف عبده "(سورة: الزمر 36)

سبحان من يعاملنا بالبر والألطاف ويمنعنا بلطفه القديم من حيث نخاف ومن حيث لا نخاف.

ولبعضهم:

اللطف إخفاء الأمور جاء في *** صور الأضداد كما في يوسف

ألبس ثوب الرق كي ينالا *** ملكا وعز ربنا تعالى

[17] رواه ابن هشام في السيرة (3/ 43) والبيهقي في الدلائل (302/3) بإسناد فيه انقطاع. [الناشر]

والأمر المزلق: الذي تزل فيه الأقدام من الشدة.

والزلق: زلل القدم عن الثياب. ثبت الله أقدامنا على سبيل الرشاء، لأنه قال ـ عز من قائل: **"** يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ**..."** (سورة: إبراهيم:37)

والحرِجُ ـ بكسر الراء: صفة للمزلق ـ بكسر اللام ـ والحرج ـ: بتحريك: الضيق.

يعني أن الثقة بالله في الأمور المخوفة والشدائد الضيقة = هي مفتا اللطف

فائدة: " قيل إن إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه السلام ـ لما رماه نمروذ في ناره العظيمة التي لا يمر الطير بينها وبين السماء إلا واحترق، تلقاه ملك وهو يهوى من المنجنيق إليه ففقال أنا الملك الموكل بالبحار، وقد أعطاني الله الإذن فيما أمرتني به، فإن أمرتني أن أجري البحار على النار حتى تنطفئ فعلتُ، أبي عن ذلك فأمره الملك بسؤال ربه، فقال له علمه بحالي يكفي عن سؤالي. وهذ هو غاية التوكل. فلما توكل على الله، جعلها براد وسلاما. وذلك أعظم في إظهار المعجزة". اهـ.

لطف الله عم كل خلقه:

وقوله ـ رضي الله عنه:

13ـ ما انفكت ألطافه أبدا * عن باد وخاف مدى الحجج**

وذلك لأن لطف الله تعالى صفة ثابتة لا تنفك ولا تزول. ولطفه منسحب على كل مخلوق قيل حتى في أهل النار لأن ما عند الله لا يتناهى. فما من شيء ظاهر ولا خاف إلا وهو ملطوف به. فلا شك أن كل عذاب وبليه ابتلى بها أحد ـ نعوذ بالله تعالى ـ فعند الله ما هو أعظم منها فإمساكه عنه للأعظم= لطف به

والحجج: جمع حجة ـ بالكسر ـ وهي السنة. قال بعضهم:

وكم لله من لطف خفي *** يدق خفاه عن فهم الذكي

وكم يسر أتى من بعد عسر *** وفرج لوعة القلب الشجى

حسن الظن بالله من علامات الإيمان

14- وبربك ظن الخير ولا * تنو ظن الأشرار والهمج**

ففي الخبر القدسي: " أن عند ظن عبدي "[18]

وفي النبوي ـ كما قيل **:-** " خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله".

وقال تعالى: " الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ..." (سورة: الفتح: 6).

فإن حسن الظن بالله من الإيمان.

فائدة: ذكر ابن عبد البر رحمه الله تعالى بسنده إلى ربعي بن خراش ـ رضي الله عنه ـ قال مات أخ لي، كان أطولنا صلاة وأصومنا في اليوم الحار، فسجيناه، (أي غطيناه بالثوب)، وجلسنا عنده، فبينما نحن كذلك إذ كشف عن وجهه، ثم قالك السلام عليكم: فقلت: سبحان الله، أبعد الموت؟! قال: إني تلقيت ربي، فتلقاني بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثيابا خضرا من استبرق، أسرعوا بي إلى رسول الله، فإنه أقسم لا يبرح حتى آتيه، وأن الأمر أهون مما تظنون، فلا تغتروا.

والهمج: الأنزال. وكذلك الأشرار.

الله مولى الإحسان والتفريج:

وقوله ـ رضي الله عنه:

15- فهو مولى الإحسان لا أحد * مثله مولى من الفرج**

وذلك لان الله تعالى هو مولى الإحسان الذي سبق، وأسبغ علينا قبل أن نخلق "خلق الإنسان" "علمه البيان "، أحسن بالإنشاء البديع، خلق فسوى، وقدر فهدى

[18] رواه الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ به مرفوعا.

وقوله: (لا أحد مثله): هي كلمة جامعة في توحيد الله عز وجل: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ..." (سورة شورى: 11) لأن مخالفته تعالى للحوادث هي الصفة الجامعة لجميع البراهين في التوحيد، وهو سبحانه وتعالى المفرج من الضيق والغافر لجبال الذنوب. فكم من شدة أو ورطة فرجها الله، لا يهمل أمر جليل خلقه وحقيره، فالكل منه في غاية متى دعاه المكروب = اجابه القريب المجيب. سبحان من لا يعزب عن عمله مثقال ذرة في الارض ولا في السماء.

حكاية: قيل إن بعض الصالحين اغتمّ لمرض زوجته ليلة، ولم ينم، فنودي في سره: عن طلقت الذبابة المكبلة بحبل العنكبوت في السقف الفلاني = نشفي لك زوجتك، فقام وأوقد السراج، حتى وجدها، فخلصها، فشفى الله زوجته.

فانظر ـ رحمك الله تعالى ـ إلى هذه العناية بجميع خلقه، حتى الذباب. جعلنا الله تعالى ممن فهم عن الله عز وجل.

الفرار إلى الله ساعة الشدة:

وقوله ـ رضي الله عنه:

16- لا تفزع بشكوى إلى غيره * وله اهرع في كل الحرج**

وذلك لأن الله تعالى هو منتهي شكوى الخائف الجاني ومأمن فزع الضارع العاني، فليس يفزع ولا ترجى النجاة إلا لديه.

وقد أنشدوا في المعنى:

لا ترج إلا الله في الشدة *** وثق به فهو الذي أيدك

حشاك أن ترجو إلا الذي *** في ظلمة الأحشاء قد أوجدك

فاشكره بالرحمة في خلقه *** ووجهك ابسط بالرضا ويدك

فالالتجاء على الله تعالى، كما في الحكم: لا يقبل العمل المشترك، والقلب المشترك لا يقبل عليه، فهو جل وعلا: أعني الشركاء.

والهرع: السرعة في السير، والحرج ك الضيق.

كل شيء هالك إلا وجهه

وقوله ـ رضي الله عنه:

17ـ كل شيء هالك إلا وجه * ـه الحق فلا تك في لجح**

يشير إلى الآية الكريمة وهي قول عز وجل: " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "(سورة القصص: 88)، لأنه تعالى قبل كل قبلٍ، وبعد كل بعدٍ.

وقد قيل إن كل عام في القرآن مخصوص إلا قوله عز وجل: " وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (سورة الملك:1)، " وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (سورة الحديد)، والله تعالى أعلم.

وقوله (فلا تك في لجح): يعني من الضلال والجهل. فلا تظن غير هذا، لأن كل موجود لا بد له من الفناء حتى الموت.

ففي الخبر "يؤتى بالموت، على صورة كبش ن فيذبح، والفريقان ينظران إليه، فينادي مناد: يا أهل الجنة، خلودا لا موت بعده. ويا أهل النار خلودا، لا موت بعده".[19]

اليقين بالأجل

وقوله ـ رضي الله عنه:

18ـ كل نفس ذائقة الموت تأ * تي إليه ولو كان في برج**

هذا من نحو الذي قبله، ثبتنا الله عنده: " يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " (سورة إبراهيم 27).

والبرج: واحد البروج، وهي ك إما طرق المنازل في السماء، وإما القصور المشيدة في السماء. ويريد هو ما في الكتاب الله تعالى: " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ " (سورة النساء 78).

---

[19] رواه ابن أبي داوود حديثا مرفوعا، قريبا لفظه من هذا، في كتاب البعث: حدثنا محمد بن وزير، قال: ثنا الوليد، قال: ثنا عمر بن محمد، عن نافع، عن ابن عمر، عن نبي محمد صلى لله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم: قال:" يؤتى الموت يوم القيامة في صورة كبش أفلح فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يأهل أهل الجنة، أيقنوا بالخلود ويأهل النار، أيقنوا بالخلود، قال فيزداد اهل النار حزنا وأهل الجنة سرورا". رقم 54.

حكاية: قيل إن سليمان بن داوود ـ عليهما السلام ـ دخل عليه ملك الموت، وإلى جنب سليمان رجل. فجعل ملك الموت يديم النظر إلى الرجل، ويتعجب. فقال سليمان: مم تعجب؟ فقال له: هذا الرجل أمرني تعالى بقبض روحه في هذا الحين بأرض الصين، ودونها ميسرة شهر، فقال الرجل لسليمان: لي إليك حاجة! فقال وما هي؟ قال: لي حاجة إلى أرض الصين، فأْمُرِ الريح تحملني إليها. فامر سليمان، فحملت الرجل إلى ميعاد أجله".

الدعاء مفتاح الحضرة الإلهية

وقوله ـ رضي الله عنه:

19 ـ ولتسل مولاك بأسمائه * فهي والله مفتاح الشبج**

قال الله تعالى: " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ..."(سورة: الأعراف 180)، وقال: " أمن يجيب المضطر ... "(سورة: النمل 62) وقال عز وجل من قائل: " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ " (سورة الإسراء: 110). وفي الخبر: " أن رسول الله سمع رجلا يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال دعا الله باسمه الأعظم الذي دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى "[20]. وفيه " إن لله تسعا وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة"[21]. وذكر محمد اليدالي في "**الذهب الإبريز**": " أن الدعاء بها مشروط بستة أشياء فهمناها: العلم والمراقبة. فمن لم يعرف معناها، قلت فائدته. وعلى قدر المعرفة، والتقوى يحصل المراد منها. ومن أدعيتها. كل اسم يوافق للدعاء المدعو به نوعا من الموافقة ومعانيها وخواصها وكيفية العمل بمقتضيها، ولتك مقرونة بحرف النداء، متحريا أوقات الإجابة، مبتديا بالحمد، والصلاة على النبي ".

فائدة: أكثر أهل الفتح والعرفان من ذكر خواص ما لكل اسم من هذه الأسماء وكيفية التوجه به وتعيين الأعظمة فيه من غيره. وقال بعضهم: إن ذلك بحسب حال الداعي به، فهو من باب (هذه الفاتحة وأين سحون؟!)، ولولا خوف إظهار ما ينبغي

---

[20] هذا بعض حديث اقتصر العلامة الشارح على بعضه. ولفظه كما في السنن: روى أنس رضي الله عنه تعالى عنه أنه كان مع رسول الله، ورجل يصلي، ثم دعا، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، فقال لأصحابه: أتريدون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم: والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى. رواه أبو داود، والترمذي والنسائي.

[21] رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ وابن عساكر عن عمر رضي الله تعالى عنه.

كتمه لذكرنا ما وقفنا عليه من ذلك، ولكن علم ذلك عند الله. وقال شيخنا التجاني ـ رضي الله تعالى عنه ـ إنه يدعو الله بأسمائه، لا لطلب حاجة ولا ثواب بل لن الله تعالى أمرنا بالدعاء. وهذه طريقة الكمل ـ رضي الله عنهم ـ

فائدة: أما خواص الأسماء المستعملة ببعض العقاقير، والأسماء العجيبة التي أولع بها كثير من أهل الرياضات، فقد نهى عنها شيخنا التجاني ـ رضي الله عنه ـ كلا أو جلا، والخير كل الخير في الأتباع، والشر كل الشر في الابتداع.

والشبج: محركة: العالى البناء، كما في " القاموس".

الاستعانة بالله في الحاجات

وقوله ـ رضي الله عنه ـ:

20ـ واستعن بالله في كل ما * رمت تنجح فيه بلا حرج**

أقول: انظر ـ رحمك الله ـ على ما حض عليه هذا الشيخ الذي لا عدمنا نصحه وأوامره المهذبة لجميع المؤمنين من حسن التوكل على الله تعالى، والاطراح لجميع الأسباب لديه. ومن تدبر قصيدته هذه، ومضمونها= وجده منطوية على كثير من ذلك، جازاه الله تعالى عنا وعن جميع المسلمين خيرا، ولا عدمنا وجوده في زمننا هذا. فلولا ما يتعهدنا به من سياسيات الأوامر الشرعية، والنواهي عن محارم الله تعالى الزاجرة في جميع تأليفه، المرة بعدة المرة (العلل بعد النهل) = لصرنا كالأنعام أو نحن أضل سبيلا. فلا شك أن من ائتمر بما أمر به= فقد اهتدى = فإن الله لا يهدي من يضل، وقد أمر الله تعالى بالاستعانة به، لأنها هي التي يحصل معها جميع المطلوب. اللهم إياك نعبد وإياك نستعين.

الاستغناء بالله في الخصاصة:

وقوله ـ رضي الله عنهم:

21ـ واستغن به في الخصاصة لا * تهرق ماء وجهك في الهمج**

يريد الاستغناء بالله تعالى في حال الفقر والشدة.

والخصاصة: الحاجة او الفقر. وقد مدح الله تعالى أهل هذا المقام.

فقال عز وجل: " وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ": سورة (الحشر9).

ويحكى أن رجلا كان إمام مسجد، وكان فقيرا ولا يخرج من المسجد ولا يسأل أحدا شيئا، فأتاه رجل يريد الحج، وأودعه صندوقا فيه عشرة آلاف دينار، وذهب فوضع الصندوق في داره. فرأى زوجه تشتري لهن شوار، فقال من أين لك هذا الذي تشترين به هذا الشوار، فقالت له: من عند الله تعالى. فتركها، وسكت. فلما أتى صاحب الدنانير، قال له: أخرج إلي الدنانير، فدخل فوجد الدنانير أُخذت كلها. فسأل زوجته عنها، فقالت: شورت بها بناتك فقال لها بحان الله، أتشورين بمال الرجل وضرب على رأسه حياء، وخرج إلى الرجل، وقال: أمهل علي إلى غد، ودق الباب على عفان بن سليمان البغدادي، فخرج له غلام عفان ثم عاد إلى سيدة، فأخبره أن إمام المسجد قد وفق بالباب، فقال: لا تخف، وآت بالصندوق. فأتاه، وملأ فيه الأكياس كما كان ربطها، وأغلق الصندوق.

فلما أتاه صاحب الوديعة، دفع له الصندوق فقال: ما هذه علامتي، فقال له زن المال، أو عده ن فإن نقص فأنا أوفيه لك، فقال لا آخذ إلا دنانيري، فقال ك سألتك بالله تعالى لا تفضحني. فحلف يمينا مغلظة لا يأخذ إلا عين ماله أو يخبره بخبره، فأخبره الخبر كله. فقال له: جزاك الله خيرا، هذا المال أرسله معي صاحبه إلى من يشور به بناته ممن لا حيلة له أو يكسو به عريانا أو صاحب قرآن، فتركه، ومضى، فقام الإمام إلى عفان، فقص عليه القصة، وأحضر له المال. فقال عفان: لا آخذه، ووقد أخرجه لله تعالى، فأخذ الإمام المال، ومضى. فانظر ـ رحمك الله ـ كيف صار حال هذا المستعين بالله في خصاصته.

وإهراق ماء الوجه عبارة عن السؤال. والهاء بدل من الهمزة.

وبن قوله: (استعن. وقوله ك استعن في البيت قبله): جناس مصحف.

سر النجاح والمناجاة في طاعة الله:

وقوله ـ رضي الله عنه:

22ـ واصرف الوقت في حسن طاعته* واقتف المصطفى لتكون نجي**

قال عز وجل: " وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ": (سورة الحجر99)

وقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ " (سورة النساء 59)، وقال "من يُطع الرسول فقد أطاع الله " :(سورة النساء80)

وقال: " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...." : (سورة الحشر7). وفي الخبر:" الخير كله والشر كله في الابتداع".[22]

وفي الخبر: " ثلاث لو كتبن على ظفر لو سعهن، وفيه خير الدنيا والآخرة: اتبعن لا تبتدع، لا تتسع واتضع، لا ترتفع"[23]

وفي الشعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ولعل الناظم أبقاه الله تعالى أراد ب (نج) ك النجي الذي هو من النجوى، قال تعالى ك وقربناه نجيا، وكان يقال لموسى عليه السلام: نجي الرحمن.

يريد والله أعلم: تكون نجيا لرسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله، وصحبه وسلم ـ وذلك مقام ربما قاله أفراد الرجال، والظن بالناظم أنه منهم. جعلنا الله تعالى ممن خصه بهذا المقام العالى بجاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

ويمكن أنن يريد بقوله: (**نج**) اسم الفاعل من النجاة، ولا شك أن أتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو النجاة في الدنيا والآخرة.

قال الشاعر:

بأبي مال مال هشام ... فكما مال فميلوا

لأن اقتفاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم= هو اتباع سنته والسنة ما أسند على قوله أو فعله أو إقراره، أي ما رآه، فأقر عليه، ولم ينكره.

---

[22] وهو متضمن معنى بيت ذكره اللقاني ـ رحمه الله ـ في جوهرته ولفظه: وكل خير في اتباع من السلف وكل شر في ابتداع من خلف

[23] من الاقوال الشهيرة المأثورة عن السلف. [الناشر]

الرسول رحمة مهداة:

وقوله ـ رضي الله عنه:

23ـ قد أتى رحمة للورى كلهم* فهداهم إلى أسنى النهج**

قال عز وجل: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ": (سورة الأنبياء 107)

ومن أسمائه ـ عليه الصلاة والسلام: نبي الرحمة لأن الله عز وجل، أنقذ به الورى من الكفر المؤدي إلى أشد العذاب، فهدى الله به قلوبا غلفا، وعيونا عميما، وآذانا صما، وقال عز وجل: "لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " :(سورة التوبة: 128)

وقال البوصيري ـ رحمه الله تعالى:

رحمة كله وعزم وحزم * ووقار وعصمة وحياء**

وذكر شيخنا التجاني ـ رضي الله عنه ـ أن من رحمته أن الكفار واليهود والنصارى من بعد بعثه يخفف عنهم العذاب كثيرا ببركته.

وهو الهادي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أسنى النهج : أي أضواه، أو أرفعه، وهو نهج الإسلام ، قال تعالى : " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن". **والنهج**: الطريق.

الرسول بالمؤمنين رءوف رحيم.

وقوله ـ رضي الله عنه:

24ـ قد دعا الله بخير دعا * ونفى عنا كل الحرج**

وذلك لأنه هو الداعي المجاب من عند الله عز وجل، الذي لا يرد دعاؤه، وهو الداعي إلى الله تعالى بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة.

قال تعالى: " ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ ": (سورة النحل 125)

وأما دعاؤه عز وجل، فهو دعاؤه يوم الفزع الأكبر الذي قال له فيه عز وجل، كما في الخبر: " ارفع راسك، واشفع تشفع، وسل تعط".[24] وفسر به قوله: " **عَسَىٰ أَن** يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ": (سورة الإسراء 79)، لأن المقام المحمود الشفاعة، وهي التي نفي بها عن جميع أمته، وغيرها كل الحرج، لأنه أنقذهم من ضيق الموفق، وهو لهز وناهيك به هؤلاء ، هذا في الأخرى.

وقد نفى الله تعالى عنا ببركته ـ عليه الصلاة والسلام الحرج في الدنيا أيضا.

قال الله تبارك وتعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ **..."** (سورة الحج:78).

وقد قيل: إن الأمم الماضية قبله كانوا إذا تنجس محل من واحد منهم لزمه قطعه، ونحن يكفينا غسله بالملق، ببركته ـ عليه الصلاة والسلام، والسلام إلى غير ذلك من التخفيفات التي حدثت ببركته ـ صلى الله عليه وسلم.

وهي لا تكاد تحصى كثرة. اهـ

معجزة القرآن خالدة

قوله ـ رضي الله عنه:

25- وأتى بالقرآن معجزة * بهرت من مضى والذي سيجي**

وذلك لأن القرآن العظيم أعجز لأولين والآخرين الاتيان بمثله.

قال تعالى: " قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ... ":(سورة هود: 13)، وقال أيضا: " فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ": (سورة البقرة: 23)

واختلف أهل البيان في أقل ما يكون به الإعجاز من القرآن، فقال قوم: أقله عشر سور، تمسكا بالآية الأولى. وقال آخرون: أقله سورة واحدة، تمسكا بالآية الأخرى.

والصحيح أن كل مستقل منه. ومن إعجازه: طول تردد في الالسن مع بقاء رونقه، وبهجته، وحلاوته للتالين، وهذا لا يكون إلا له.

---

[24] رواه الشيخان في صحيحهما. وهذه الجمل من حديث الشفاعة الطويل

ومن إعجازه أيضا كونه محفوظا من التبديل، والتغيير، ومن الزيادة والنقص، حتى في حرف واحد قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ... " (سورة: الحجر:9)، لأن ما عداه من الكتب المنزلة وقع فيه التحريف كثيرا والتغيير، وإن اعترض معترض باختلاف طرق الأداء فيه، وكون بعض القراء روى حرفا ما رواه الآخر أو أسقط البسملة في بعض السور، وأثبتها آخر، فغن ذلك رحمة من الله تعالى لهذه الأمة، وتوسعه عليها في قراءة كتابه العزيز، قال : " إن هذا القرآن أنزل على سبعة احرف، فاقرءوا ما تيسر منه"[25].

واتفق المسلمون أن المراد بها القراءات السبع التي أخذ بها قراء الأمصار، كنافع لأهل المدينة، وابن كثير لهل مكة وعاصم وحمزة والكسائي وغيرهم. وأجمعوا على تواتر العشر القراءات التي تكلم عنها في كتابة النشر،

فائدة: ذكر شيخنا التجاني ـ رضي الله عنه ـ أن أرباب الصناعات كلا استنبطوا كيفية صناعاتهم من القرآن. قال ابن العربي: أخذ المهندسون الهندسة من هذه الآية:

" أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * ": (سورة الفرقان 45 ـ 46).

القرآن باب الحضرة الإلهية:

وقوله ـ رضي الله عنه:

26ـ فاستمسك بعروته دائما * ولحضرته بالحضور لج**

يعني أن الاستمساك بالقرآن العظيم هو الاستمساك بعروة الله الوثقى، فما فاز من فاز إلا بالاستمساك به وطول تلاوته. قال تعالى: " وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا " (سورة: المزمل)، وقال ك " فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ": (سورة: المزمل20)، وقال:" وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ": (سورة: النمل: 92)

والاستمساك بالعروة القرآن إما لأحد أمرين: أو هما معا: لكثرة تلاوته كما هي المطلوبة، وإما للاستبصار به في أمور الدين والفقه، واستنباط الأحكام منه،

[25] رواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داوود والترمذي والنسائي، عن عمر رضي الله تعالى عنه، وهو صحيح

وإليه يرشد: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يوردا على الحوض. [26] قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى:

العلم في الأصلين لا يعدوهما إلا المضل عن الصراط اللاحب علم الكتاب وعلم سنته التي قد أسندت عن تابع عن صاحب.

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعال:

ما العلم إلا كتاب الله أو أثر يجلو بنور هداه كل ملتبس

نور لمقتبس حمى لمحترس غنى لملتمس نعمى لمبتئس

وللقوم في تلاوة القرآن العظيم مشارب مختلفة ومراتب متفاوتة فمنهم من يهذه هذا ومنهم من يرتله ترتيلا، ولكل منهم في ذلك مذهب معروف.

وذكر الحافظ السيوطي في " الاتقان" أن بعض أشياخه سئل ك أي الأمرين أفضل ؟ الهذ أم الترتيل ؟ فقال : ثواب قراءة الهذ أكثر أجرا، وثواب قراءة الترتيل أجل قدرا.

ويحكى أن بعض أهل الله تعالى قال:" مكثت زمانا أقرأ القرآن كأني أتلقاه من فم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ـ مشافهة، فوجدت لذلك حلاوة عظيمة، ثم بعد ذلك ترقيت، وجعلت كأني أتلقاه من الحق عز وجل، فوجدت في ذلك ما لا يعبر عنه". اهـ

قلت: وقد بلغني من الثقاء أن الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي ـ رضي الله تعالى عنه ـ سئل عن الجنابة من تلاوة القرآن؟ هل يلزم منها الغسل أم لا؟ وهذا غاية الحضور. جعلنا الله تعالى ممن خصهم بهذا الفضل العظيم. وفي قول الناظم أبقاه الله تعالى لحضرته بالحضور: جناس محرف.

والولوج: الدخول

[26] رواه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه

الرسول باب الله:

وقوله ـ رضي الله عنه:

27ـ فهو باب الله لحضرته* من يردها بالغير لم يعج**

وذلك لأن الرسول ـ صلى الله تعالى وعلى آله وسلم ـ هو باب الحضرة العلية، فلا مطمع لأحد في دخول الحضرة إلا بواسطته، فهو باب الحضرة ومنبع عين الرحمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال البكرى:

وأنت باب الله أي امرئ*** وافاه من غيرك لا يدخل

وقال شيخنا رضي الله عنه : " جمع سبحانه وتعالى في الحقيقة المحمدية جميع ما ذكر إجمالا وتفضيلا ، أزلا وأبدا، ومحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء في الوجود جوهرا أو عرضا ن مما دق أو جل ، خارجا عن الحقيقة المحمدية ، فهو الأصل ـ صلى الله عليه وسلم ـ والكون كله فرع عنه، وإذا عرفت هذا ، اتضح لك شرف هذه المرتبة مع ما فيها من تجلي السر المكتوم، وما اختصت به من المنح والعطايا والمواهب والتحف التي لا مطمع فيها للغير في نيل أقل قليل منها بوجه واضح وضوح الشمس ، إلى أن قال: وهي الحقيقة المحمدية، عليها من الله أفضل الصلاة ، وأزكى السلام". اهـ

قلت: وكيف لا ـ وفي الخبر : خلقتك من أجلي، وخلقت الحق من أجلك ، وكيف لا وقد قال الله عز وجل : " **من الرسول فقد أطاع الله**": (سورة النسا: 80)، إلى غير ذلك من الآيات المصرحات بواسطة سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم:

الرسول هو قاسم النعم الإلهية:

وقوله ـ رضي الله تعالى عنه :

28ـ كل ما جاء من نعم للورى* فعلى يد بالكمال تجي**

قلت: هذا من نحو الذي قبله، لأنه صلى الله عليه وسلم، هو واسطة النعم الإلهية، ومنبع الاسرار العرفانية. فما من نبي مرسل، ولا ملك مقرب إلا وهو نال من بركته رسول ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ بقدر حقه ومرتبه.

ففي بعض الكتب أن آدم أب البشر تيب عليه بسببه، لأنه رأى اسمه مكتوبا في ساق العرش، فتوسل إلى الله تعالى به. فقبل توبته، ولأن النعم، ثمرتها: الإيمان بالله تعالى والإيمان هو واسطته العظمى.

وقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يألوا جهدا في الدعاء إلى الإسلام، ولا يبالي بما ناله في ذلك من الأذى، والضرر، ويقدم نسب الإيمان والدين على نسب الطين، وكان كما قال له عز وجل: "**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ۖ..." (سورة النحل:125). ثم بعد أن أذن له في القتال، قال: والله لا أزال أقاتل على ما أمرني به ربي، أو تنفرد سالفتي. فعود نفسه الكريمة من تحمل المشاق، ومقارعة الأبطال، وتلهب الحديد ما لا يخفى على من له أدنى معرفة، وما ذلك إلا حرصا على أن يهدي الله عز وجل به واحدا.

وفي الخبر: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من حمر النعم.[27]

فإن علمت هذا علمت أنه هو أصل النعم الإلهية، إما بواسطة العظمى التي هي حقيقة المحمدية التي هي أصل كل خير، وإما بواسطة ذاته الشريفة الترابية التي ذكرنا ما توسطت فيه من إيصال النعم لأهل الكفر، حتى هداهم الله تعالى إلى دينه، ولا نعمة أكبر من الهدى إلى الإسلام.

[27] قال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلي رضي الله عنه يوم خيبر، رواه الشيخان من طريق سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه

الرسول بشارة الأنبياء:

29- وبه بشرت سائر الأنبياء ***وببشراهم سر كل شجي

قال عز وجل: حكاية عن روح الله ـ تعالى عز وجل ـ عيسى علي نبينا، وعليه السلام: " ... **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﷺ..." (سورة الصف: 6)

وفي الخبر: "أن آدم ـ عيه السلام ـ وصى ابنه شيئا علي السلام، بنور النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يضعه إلا في رحم طاهر، ثم كان كل أب يوصي بذلك"[28]

وذكر شيخنا التجاني ـ رضي الله تعالى عنه ـ في " شرح الهمزية " أن نبي الله سليمان بن داود ـ عليها السلام ـ، قيل: إنه مر بجيوش على أرض المدينة، وهي إذ ذاك مراح لأبناء بها، فلما نزلها عليه الصلاة والسلام، قال الناس من حوله: هذه دار نبي آخر الزمان، قالوا كم بيننا وبين خرجه، يا نبي الله، قال : مقدار ألف عام، ثم قال لهم : " فليبلغ الشاهد من الغائب بأنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل ـ صلى الله عليه وسلم ".

قال البوصيري: رحمه الله تعالى:

ما مضت فترة من الرسل إلا*** بشرت قومها بك الانبياء

والشجي: صاحب الشجى، وهو الحزن.

الرسول مرقي الأصحاب والأولياء:

وقوله ـ رضي الله تعالى عنه:

30- وبه الأولياء وصلوا * وغدا صحبه مثل السرج**

يعني أن أولياء الله عز وجل ـ وصلوا إلى المعارف، والمشاهدات الحقيقية بمدد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ يمدهم على قدر ما سبق لهم في علم الله عز وجل من المراتب، على تفاوتهم فيها: كلا نمد، هؤلاء

---

[28] لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى القاضي أبو الفضل عياض ـ رحمه الله تعالى في " شفافته"، معنى هذا، فروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألف عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه. فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور صلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأهبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم عليهم السلام، ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة، والارحام الطاهرة حتى أخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح. اهـ

من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا. فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ المؤسس لجميع طرق الحق الموصلة إلى الله تعالى التي قال شيخنا التجاني ـ رضي الله تعالى عنه: (إنها بعدد أنفاس الخلائق)، فمنه استنبطوا جميع الأسرار والأذكار والأحزاب المقروءة في أورادهم. فمنهم من يرى روحه الشريفة، إما يقظة وإما نوما، ويمده بما قدر له من الأنوار والأسرار في الأزل. ومنهم من يرى ذاته الترابية الشريفة يقظة ويشافهه عليه الصلاة والسلام بالأسرار والأذكار. ولكن هؤلاء قليل ما هم. وما صح عندي خبره إلا شيخنا التجاني ـ رضي الله تعالى عنه ـ لأنه جعله الله عز وجل واسطة الكل ومدد الجميع من الحضرة النبوية. وأما صحبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهم كما قال الناظم: أبقاه الله تعالى، لأنهم نجوم الهدى **ومصابيح الاقتداء، وقد أثنى الله عليهم في غير ما آية. قال عز وجل. "** مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ **": (سورة الفتح: 29).**

وفي الخبر: "أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم "[29]. واتفقت الأمة من عهدهم إلى هلم جرا على جلالتهم وعدالتهم، وتوثيقهم كلهم إلا من لا يعتد به، وبقوله الخوارج والمعتزلة.

والسرج: جمع سراج.

التوسل بالرسول ينيل السعادة

وقوله ـ رضي الله تعالى عنه :

31ـ فاسألن غني الدارين به* تحرز المقصود بلا حرج**

وذلك لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الواسطة المقبولة والوسيلة المرضية عند الله تعالى ـ ففي الخبر: " عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله ـ ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبر، فهو خير لك، قال بل ادعو الله تعالى، فأمر بدعاء أدعوه به، فأمره ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ أن يتوضأ فيحسن وضوؤه ثم يصلي ركعتين،

[29] تكلموا عليه في الموضوعات. وقال البزار: منكر لا يصح، وقال ابن عبد البر: إسناده لا تقوم به الحجة.

ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتشفع بك إلى ربي في حاجتي هذه، لتقضى لي. اللهم فشفعه في. فدعا بهذا الدعاء. فقام، وقد أبصر)[30]

وقال البوصيري:

ولا استلمت غني الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم.

وبالجملة: ما سألت به ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ حاجة إلا وقضيت من عند الله، كائنة ما كانت، فهو الشفيع المقبول، وملجأ كل خائف مخذول، وما تنافس من تنافس في المراتب من الأولياء، إلا بمحبته ـ صلى الله عليه وسلم. والخير كل الخير في درجة الآخرة. وأما درجات الدنيا فربما كانت استدراجا على أهلها لكن ببركة رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قل من نال منها حظا من أهل العناية والخصوصية من أجل سؤالها من الله تعالى، لكن يتفضل بها عن سبيل التبعية، فإنها لا تكون رأسمال المتقين.

ويحكى أن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ خلف أحد عشر ابنا، وأحد عشر درهما، فصار حظ كل واحد درهما، ومات يزيد بن عبد الملك وترك من زهرة الحياة الدنيا شيئا، لا يحصى ثم بعد ذلك رؤي أبناء ابن عبد العزيز كلهم يحمل على خمسين فرسا في سبيل الله، وأبناء يزيد فقراء، لا يملكون شيئا، وهذ لأن عمر لم تكن الدنيا رأسماله، ولم يمل إليها في جميع أحواله، والآخرة جعلها همه، فلم يخلف منها ما ينتفع به أبناؤه.

[30] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن صحيح، ورواه الحاكم أيضا في المستدرك. وقال: صحيح على شرط الشيخين ونازعه في الحكم عليه بالصحة الحافظ الذهب. وقال: موضوع. والعجب منه كيف يحكم عليه بالوضع مع تخريج أصحاب السنن له إلا أبا داود مع قول = الترمذي فيه حسن صحيح. والحق أحق ان يتبع أن تصحيح الترمذي أحب إلينا من طعن الذهبي فيه ولعله مدسوس عليه. وحديث الثلاثة الذين آوو إلى الغار وتوسلوا بأعمالهم الصالحة رواه الشيخان وقصة أبي جعفر المنصور مع إمامنا مالك رحمه الله تعالى ورواها القاضي في شفائه وغير ذلك. وبهذا الأدلة يرد على المتنطعين والمتهوسين والجاهلين الذين يكفرون عامة المسلمين. عاملهم الله بما يستحقونه

الرسول ملجأ الملهوفين

وقوله ـ رضي الله عنه:

32ـ ناده في ناده أو غيره* فيمد لك الخير كالثبج**

لا شك أن الرسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ هو ملجا كل مضاف خائف ومنفذ كل ضائع، تالف. ولما كان الولي يملأ الكون، ولو دعي من حجر، لأجاب، فمن باب أحرى سيد الوجود، وعلم الشهود، مقبول الشفاعة عند الله تعالى، منبع الأسرار والعرفان الذي هو نور لجميع الأكوان.

وفي قول الناظم، أبقاه الله تعالى ك (ناد في ناد) جناس تام.

والنادي، واندن والمنتدي: الجماعة. وإن أضيف إلى أحد، فالمراد جماعة الأدنون، قال تعالى: " **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ** " (سورة العلق:17).

و(**ناده**) الأولى، من النداء.

والثبج: معظم الشيء ومعظم الماء

والخير: يراد به كل خير، وقد يطلق على المال خاصة. قال تعالى: حكاية عن سليما بن داوود ـ عليهما السلام: " ... **إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** " (سورة ص:32).

الرسول شفيع الخلق يوم البعث

وقوله ـ رضي الله عنه:

33- يا خير الخلق ومنقذهم * من رادهم في الموقف الحرج**

لا شك أن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ هو خلق الله تعالى، ولا أحشي من الأقوام من أحد، من إنس وملائكة وجن.

قال في الإضاءة:

واعقد الإجماع أن مصطفى*** أفضل خلق الله واخلق انتفى

محمد سيد الكون والثقلي *** ـن والفريقين من عرب ومن عجم

وفي الخبر: قال: أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول شافع (مشفع[31]) أو كما قال.

وفيه أيضا: " أنا الذي خلق آدم على صورة اسمي "[32]، لأنك إذا نظرت إلى خلقة الإنسان، فالرأس ميم، والجناحان حاء، والبطن ميم، والرجلان دال، وهذا بالخط الأول.

فائدة: اختلف: أي آية هي أشد تصريحا بأفضلية ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمن قائل: عز وجل: " **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ...**" (سورة الأنعام: 90)، لأنه عز وجل، عدد الرسل، ثم أمره بالاقتداء بهم كلا، وجمع له فضائلهم. ومن قائل: قوله عز وجل: " **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...**"(سورة آل عمران: 110)، لأن أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما كانت هي أفضل الناس، فلا شك أنه أفضل منهم، والنتيجة انه أفضل الناس. اهـ. إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من الآيات المنوهة بقدره، والأحاديث الواردة في علو مقامه المنيف. ولا شك أنه هو منفذ الخلق من هول الموقف بشفاعته ـ صلى الله تعالى عليه وسلم.

وبالسند إلى أمير المؤمنين في حديث أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا مَعْبَدُ بن هلال الْعَنْزِيُّ، قال: اجتمعنا ناسٌ من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك،

---

[31] رواه الشيخان وغرهما

[32] لم يقف عليه المخرج ولكن معناه قريب من الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب بدء الإسلام، خلق الله آدم على صورته. [الناشر]

وذهنا معنا بثابت البُنَانِيّ، يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فأتيناه في قصره، فوافيناه يصلي الضحى، فاستأذنا عليه، فأذن لنا، فأقعد ثباتا معه على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاع، فقال أنس : حدثنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم، فيقول له: اشفع لذريتك، فيقول : لست لها، ولكن ائتوا إبراهيم ، فغنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول لست لها ، ولكن عليكم بمحمد، فيأتوني، فأقول : فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فيلهمني محامد احمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجد ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك وسلْ تُعْط ، واشفعْ تُشَفَّعْ ، فأقول: يا ربي، أمتي، أمتي: فقال: انطلق، فأخرج منها من كان في قلبه شُعَيْرَةُ من إيمان، فأنطلق، فأفعل، ثم ارجع، فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجدا، فيقال لي: يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسْمَعُ لك ، وسل تعط، واشفعْ تُشَفَّعْ ، فأقول: يا ربي، أمتي، أمتي: فيقال انطلق، فأُخْرِجُ منها مَنْ كان في قلبه مثقال برة أو قال: خردلة من إيمان، فأنطلق، فأفعل، ثم أرجع، فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجدا، فيقال لي يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسْمَعُ لك وسل تعط، واشفعْ تُشَفَّعْ ، فأقول: يا ربي، أمتي، أمتي: فيقال انطلق، فأخرج منها مَنْ كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان، فأُخْرِجُهم من النار"، " قال: فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن، وهو يومئذ متور في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا به أنس، فأتيناه، فأذن لنا، فقلنا : يا أبا سعيد، جئنا من عند أخيك أنس بن مالك، فلم مثل ما حدثنا في الشفاعة. قال: هيه، فحدثناه الحديث حتى بلغنا هذا الموضع، قال: هيه ، قلنا : لم يردنا على ذا. فقال: لقد حدثنيه منذ عشرين سنة، وهو جميع، فلا أدري أنْسِيَ أم كره أن تتكلوا؟ قال: قلنا، يا أبا سعيد، حدثنا، قال: فضحك، فقال: وخلق الإنسان عجولا، إني لم أخبركم إلا وأنا اريد أن ان أحدثكم حديثي، كما حدثكم، قال: " ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرُّ له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَعُ لك وسل تعط، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول ك وعزّتي وكبيراتي وعظمتي لأُخْرِجنَّ منها من قال لا إله إلا الله".[33]

[33] رواه الشيخان واللفظ للبخاري في التفسير بعبارات مختلفة. وقد استوفاها القاضي أبو الفضل.

الاستناد إلى الله منجاة.

وقوله ـ رضي الله عنه:

34ـ كن لكلي في الأوحال بما * يصلح الأحوال من الخمج**

ففي الخبر: " من كان لله كان الله له "[34]، كما أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ... من كان متبعا له حق الأتباع، لا شك أنه يكون في جميع حوائجه.

وفي الخبر: " أنا جليس من ذكرني "[35].

ولا شك ان الناظم ـ أطال الله تعالى ـ حياته من المتبعين له، العاملين بسنته. نفعنا الله ببركته. آمين.

والأوحال: جمع، وهو ما يحبس عن التصرف، ومنه سمى الوحل الذي هو طين المطر الذي يُمسك القدم عن المسير.

قال الراجز:

مثل روايا الطبع همت بالوحل

وبين الأوحال والأحوال: جناس مقلوب.

والحال أنه طلب من الرسول الله أن يكون له في كل أمر يخشى وحله، وضيقه، بما يصلح حاله. اهـ من التاج.

قال البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته*** إن تلقه الأسد في آجامها تجم

---

[34] من الكلام المأثور عن السلف، وقد ورد في الإحياء، وغيره من كتب القوم. [الناشر]

[35] له طرق ضعيفة، وأحسنها ما عند البيهقي من حديث إسماعيل بن عبد الله عن كريمة بنت الحسحاس المزنية عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سمعت أبا القاسم ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ يقول: إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي، ما ذكرني، وتحركت في شفتاه، وأخرجه البخاري تعليقا في آخر صحيحه.

التماس الشفاعة من الشافع الأكبر:

وقوله ـ رضي الله عنه:

35ـ كن لي شفيعا آخذا بيدي* يوم يؤتى بالشخص كالبذج**

وذلك لأن شفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي المنقذة من جميع المخاوف، ولا سيما في يوم الفزع الأكبر، جعلنا الله تعالى ببركته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر. وطلب الناظم ـ أبقاه الله تعالى ـ لشفاعته ـ عليه الصلاة والسلام: هو دعاء مرجو الإجابة، أدخلنا الله في زمرته، لأن في الخبر: من مدحني ولو بشطر بيت، وجبت له شفاعتي، أو كما قال. ونظمه بعضهم، فقال:

ومادح النبي بشطر كانا له شفيعا في الحديث بانا

وفي الرواية استواء من حكى وناشئ البيت السجلماسي حكا والناظم ـ أطال الله بقاؤه ـ لم يصرف أوقاته إلا في مدحه، إما بالقصائد الحسان أو بالتأليف ذوات البيان، فالله تعالى يجازيه عن السنة النبوية والآثار النبوية.

والبذج : محركة ـ ولد الضان

في الحديث: " يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج من البذل". اهـ من التاج".[36]

[36] بقول الناشر: هنا انتقاد يوجه المخرج الأستاذ الهادي عبد القادر محمد التونسي، إلى الشارح الخليفة الحاج محمد انياس، نأتي به هنا كما جاء في الطبعة الأولى، ثم نعقب عليه، يقول المخرج: يغفر الله للشارح، يأخذ الأحاديث من كتب اللغة، والحق ان الأحاديث لا تؤخذ من كتب النحو واللغة والبيان والأدب والأصول والتصوف والتفسير ولا تؤخذ إلا من كتب الحديث الصحيحة، كموطأ مالك ومسند الصحيحين وأبي داوود والنسائي وابن ماجه.

مع عزو كل حديث إلى من خرجه، من أئمة الحديث ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ أجمعين هذا الذي عليه أهل الحديث انتهى كلام المخرج.

وإليكم تعقيبنا على كلامه محددا في النقاط الآتية:

1- إن كتاب التاج ليس كتاب لغة فحسب؛ بل هو كتاب جامع لشتى المعارف الأدبية والعربية، والإسلامية؛ ويمكن القول إنه يكاد يكون دائرة معارف. فالمؤلف؛ وهو مرتضى الزبيدي، لما كان محدثا حافظا؛ ارتأى حين يأتي بلفظ له صلة بالأحاديث النبوية؛ (يعتبر من غريب الحديث مثلا) من سائر وجوه الحديث وعلومه؛ أن يستأنس بذكر ما يتعلق به من فوائد وتقاييد، تخص هذ اللفظ أو ذاك مما يسمح به ثقافته الحديثية الواسعة؛ ومن هنا يصح اعتبار كتاب التاج كتاب حديث. وقد ذكر بعض المتخصص أن كتاب التاج تشمل من الفوائد في باب غريب الحديث، وعلم الرجال ما يندر الوقوف عليه في مصدر آخر.
2- الحديث الذي أورد الشارح جاء به من باب الشرح اللغوي، وليس من باب الاستدلال الشرعي وكتاب التاج أهم كتاب جمع فرائد كتب غريب الحديث.
3- أن الحديث المذكور غير موجود في كتب الأسانيد؛ فيصح هذ الانتقاد في عدم رجوعه إليه ساعتئذ، وإنما يوجد في كتب غريب الحديث، وقد جاء كتاب التاج بزبدة أعمالها في جامعه العظيم. وعلى هذ، فلو كان الحديث الذي جاء به الشارح موجودا في كتب الصحاح والأسانيد لجاذله ذلك الاستدراك والانتقاد.
4- إن في رجوع الخليفة الحاج محد انياس إلى مصدر التاج للوقوف على هذا الحديث الذي لم يرد في كتب الصحاح والأسانيد دلالة على سعة اطلاعه، وأفقه، وهذا له لا عليه. [انتهى من النشر: سيدي الأمين انياس]

وتقال أيضا للولد المعز: قال أبو مجلز:

قد هلكت جارتنا من الهمج*** وإن نجع نأكل عتود أو بذج

الرسول محل التشريف الإلهي

وقوله ـ رضي الله عنه:

36ـ فلأنت الذي الله شرفه * فعلا في العلا أعلى الدرج**

وذلك لأن شرف رسول الله هو الشرف الباذخ، وعزه وعلو هو العز الشامخ.

قال عز وجل: **لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ *وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ *الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ *وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** " (سورة الشرح1،2، 3، 4)، لن الله رفع ذكره حين يذكر المؤمن في آذانه الشهادتين، بأن قرن اسمه باسمه[37]، قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه:

وضم الاله اسمه النبي إلى اسمه *** إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله *** فذوا العرش محمود وهذا محمد

وقال محمد بن محمد العلوي ـ رحمه الله تعالى:

وإلى اسمه ضم اسمه شرفا له *** من قبل حيعلة المنادي المسمع

وجعل الله الإيمان لا يقبل من أحد إلا بالشهادتين، وهما، شهادة أن لا إله غلا الله وأن محمد رسول الله.

وقد علا ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ علوا لم ينله غيره.

قال عز وجل: " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ" (سورة النجم: 8،9،10)

[37] أخرجه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مرديه وأبو نعيم في الدلائل عن ابي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أتاني جبريل، عليه السلام فقال: إن ربك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله تعالى أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي.

فائدة: ذهبت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقوم من الصحابة إلى أن رسول الله لم ير ربه ليلة الإسراء، وقالت: من زعم أن محمدا رأى ربه، فقد أعظم الفرية.[38]

وذهب ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ والجمهور إلى انه رآه وهو الصحيح عند اهل السنة. وتؤيده الأحاديث الثابتة، كحديث: رأيت ربي ..."[39] إلى آخره.

وذهب المعتزلة إلى عدم الرؤية في الدنيا وفي الآخرة، ... وذلك ضلال وخرق للإجماع. قال القري في إضاءة الدجنة:

ورؤية الإله بالأبصار *** تجوز عند أهل الاستبصار

دون تقابل ولا اتصال *** بل بالذي يليق بالجلال

وأهل الاعتزال والضلال *** قضوا بأنها من المحال

إذ فسروا الرؤية بالشعاع *** وذاك في ذا الباب ذو امتناع

وقد رأى خير الورى الديانا *** ليلة أسري به عيانا

والمؤمنون خصهم في الآخره *** بها لهم فيها مزايا فاخره

فائدة أخرى: ذكر ابن العربي في "أحكام القرآن" أن رجلا سأل في مجلس من العلماء عن معنى هذا الحديث، وهو قوله: عليه السلام: " لا تفضلوني على يونس بن متى"[40]

ولا شك أن الرسول صلّى الله عليه وسلم أفضل جميع الخلق، فقال عالم منهم إن وجدت من يقضي عن الله تعالى لا يقرب منه المسافة وهذا جواب حسن.

---

[38] الحديث في الصحيحين بروايات مخلفة عن هذه، ففي رواية ان مسروقا سألها: هل رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت " * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار *(سورة الأنعام 103). الحديث

[39] الحديث موضوع عند كافة علماء الحديث، ولو صح لكان نصا حاسما للنزاع. والصحيح يخالفه، قد روى عنه حين سئل عن ذلك، فقال: (نورا، أني أراه)، وفي رواية: (رأيت نورا). والرؤية ممكنة غير مستحيلة لسؤال موسى عليه السلام، وقال مالك ـ رحمه الله تعالى ـ وجماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين بقول عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، رضي الله عنهم. وحكى القاضي عياد مالك أنه قال: (لم ير في الدنيا، لأنه باق، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة، ورزقوا أبصارا باقية، رؤي الباقي بالباقي). وذهب جماعة الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري، رحمه الله تعالى: وجماعة من أصحابه المتكلمين أنه رأى الله تعالى ببصره، وعيني رأسه. قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى: لا أقول رآه، ولا لم يره. وهو أسلم، وأحكم، والله تعالى أعلم.

[40] رواه الشيخان بألفاظ مختلفة، وفي رواية لمسلم عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: لا ينبغي للعبد أن يقول: أنا خير من يونس ابن متى، عليه السلام

فائدة أخرى: متى كحتى، هي أم يونس، عليه السلام، ولم يشهر من الأنبياء عليهم السلام بأمه إلا هو وعيسى بن مريم على جميعهم الصلاة والسلام.

الرسول أفضل الخلائق:

وقوله ـ رضي الله عنه:

37. ولأنت الذي قد فاق السوى* بكمال مدى الدهر مبنهج**

يعني أنه، فاق غيره من الخلق بالكمال، ويجوز تعريف السوى عند حذف المضاف.

السوى: الغير.

وقوله تعالى ـ أبقاه الله تعالى ـ (بكمال مدى الدهر): يريد أن كمله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ مدى الدهر بتزايد وترقية ولا بتقص بل يزداد دائما لأنه ـ صلى الله عليه ـ ثمرة الكون ومعدن الأسرار والعرفان ، ولأن كل نبي أرسل إلى أمة معينة، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل إلى الناس كافة، وهو أفضل جميع الأنبياء.[41]

وقال الناظم: (فاق السوى) فيه احتراز حسن، لأن تفضيله على الجملة أمر إجماعي. واما النهي، فإنما هو عن تفضيله على نبي بعينه، كما حملوا عليه حديث الصحيحين وهو: " لا تفضلوا بين الأنبياء "، فقد حملوه على تفضيله على نبي بعينه، كما هو مصب الحديث، لأن في الحديث " أن إسرائيليا قال: والذي فضل موسى على البشر، فلكمه مسلم، وقال: لا تفاضلوا بين الأنبياء

وأما تفضيله على مجموعهم، فهو الأمر الاعتقادي الذي لا يصح غيره.

ومن هنا استدركا على البوصيري حيث قال: وأت قومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء

والابتهاج: السرور، والفرح

[41] .لقوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ " أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." ، راوه أحمد والترمذي وأبو سعيد الخدري ...رضي الله تعالى عنه. وهو صحيح

الرسول منقذ الخلق

38ـ ولأنت الذي بالحق غدا* منقذ للخلق من الهرج**

يريد أنه عليه الصلاة والسلام هو المنقذ لجميع الخلق من الهرج، وهو الضلال وعبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تضر، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناصر الحق بالحق.

ويجوز أن يكون الحق في بيت الناظم أنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين. ويجوز أن يكون أراد القرآن الذي أنزل الله تعالى عليه، وهو الحق المبين الذي أنقذ الله تعالى به الخلق من الهرج، هرج الشرك والجهل بالله تعالى. وقد كذب به قومه.

*... وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * ... (سورة الأنعام: 5). بل جاء بالحق وصدق المرسلين * سورة الصافات : 37)

فكم هدى الله به تعالى من بطل صنديد، وجاحد للحق ذي نخوة...

فمن أراد الله تعالى به إلى سبيل الهدى؛ فبينما هو عاكف على عبادة الأوثان إذا هو من أولياء الرحمان، والله عز وجل يقول: * يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب * (سورة الشورى: 13)

الرسول مفرج الكربات:

وقوله رضي الله تعالى عنه:

39. ولأنت مفرج كربتنا * عند يأس الناس من الفرج**

وذلك، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو مفرج الكروب، وملجأنا عند مفاجأة الخطوب. قال البوصيري:

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم، ولعل الناظم ـ أبقاه الله تعالى ـ يريد كرب الموقف، وشدته؛ لأنه عليه الصلاة والسلام، فرجه بعدما بلغت القلوب الحناجر، ويئس من تفريجه.

الأول والآخر، ففرجه بالشفاعية، وشفعه الله تعالى في أهل الموقف بعد ما زاغت الأبصار.

ولبعضهم:

إذا هال الهول واشمأزت لهوله *** نفوس وظنت أنه ليس يدرك

جعلنا رسول الله من دون شره*** حجابا وسترا مانعا ليس يهتك

ومن يعتصم من كل هول وآفة*** بأكرم خلق الله لا شك يسلك

صلاة الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وقوله ـ رضي الله تعالى عنه:

40ـ فعليك السلا م بغير انتها* يعبق الكون من أزكى الأزج**

فقد أمر الله غز وجل بالصلاة والسلام على نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال عز من قائل: **" إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ":** (سورة الأحزاب: 59)، والسلام من الله تعالى؛ لا انتهاء له. وفي الخبر: **" لا تصلوا على صلاة بتراء"**. واختلف في الصلاة التي علم رسول الله صلعم الصحابة في التشهد؛ ليس فيها السلام. وقد اعترض بعض المنكرين على شيخنا التيجاني -رضي الله عنه -في " صلاة الفاتح لما أغلق ": بأنها ليس فيها السلام؛ وقال إنها بتراء. فحج بأن الحديث الذي في التشهد أخرجه الصحاح.

صلاة وسلا م على الآل والأصحاب:

وقوله - رضي الله عنه-:

41- وعلى كل الآل والصحب مع * من يواليهم كل الأبج**

أتبع السلام؛ أبقاه الله تعالى – بذكر الآل احترازا من الخبر الماضي ذكره.

وفي الآل: خلاف بين الفقهاء؛ فقال الشافعي: هم آل هاشم، وَآل المطلب، معتمدا على الخبر الوارد في ذلك: أنا وبنو المطلب ما افترقنا في جاهلية ولا في إسلام[42].
وقال مالك: " رضي الله عنه: آله الذين لا يحل لهم الصدقة بنو بناته، والمشهور أنه لم يبق له - صلى الله عليه وعلى آله عقب إلا من فاطمة رضوان الله عليها؛ وهم الذين غلبت عليهم اسمية الشرفاء عند العامة، وكانت تقال للعباسيين من قبل. وكان بعض الملوك يجعل لكل شريف صح عنده نسبه طرازا أخضر يمتاز به عن غيره.
وقد قال بعضهم في ذلك:

جعلوا لأبناء الرسول علامة *** إن العلامة من شأن من لم يشهر

والأبج: الأبد وزنا ومعنى. وقيل: إن الجيم فيه بدل من الدال.

تم الشرح المبارك، والحمد لله؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل؛

نعم المولى ونعم النصير. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين،

والحمد لله رب العالمين.

وافق الفراغ منه ليلة السبت الرابع عشر من شعبان سنة 1347هـ.

[42] لم أراه بهذا اللفظ: وفي الصحيح: ط إنما بنو هاشم، وبنو المطلب شيء واحد"، عن جبير بن مطعم، رضي الله تعلى عنه، وهو صحيح، رواه البخاري والطبراني.

قال الأستاذ الهادي عبد القادر محمد التونسي:

هذا ما يسره الله تبارك وتعالى من التخريج، جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم، إنما الأعمال بالنيات. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله أولا وآخرا. اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الملحق الأول:

متن قصيدة المنفرجة لسيدي أحمد سكيرج الأنصاري رضي الله عنه:

1- فرج الله بالقرب منك يجي *** لا توقع نفسك في الحرج

2- سلم الأمر تسليم من عطب *** فالرضى بالقضا مسلي المهج

3- واعلم أن الله جل علا في *** تدبيره ليس من عوج

4- قد قضى ما قضاه في أزل *** ببديع الأحكام بالحجج

5- أعطى الأشياء حقائقها *** وهي عنها حقا لم تعج

6- لا تدبر في شيء حيلا *** فيها تهوى من على الدرج

7- واصبر فيما قد عراك وكن *** ماسكا بعراه لدى العرج

8- فالصبر عواقبه حمدت *** وهو أمر أمر من الحدج

9- واشكر مولاك على نعم *** فهي بحر غدا طامي اللجج

10- وعليه اعتمد لا على عمل *** وتعلم واعمل فتبتهج

11- وارجع لله لدى جلل *** أو جليل جلال منه يجي

12- ولتثق بالله فإن له *** لطفا في مزلقك الحرج

13- ما انفكت ألطافه أبدا *** عن باد وخاف مدى الحجج

14- وبربك ظن الخير ولا *** تنوظن الأشرار والهمج

15- فهو مولى الإحسان لا أحد *** مثله المولى من الفرج

16- لاتفزغ بشكوى إلى غيره *** وله اهرع في كل الحرج

17- كل شيء هالك إلا وجـ *** ه الحق فلا تك في لجج

18- كل نفس ذائقة الموت تأ *** تي إليه لو كان في برج

19- ولتسل مولاك بأسمائه *** فهي والله مفتاح الشبج

20- واستغن بالله في كل ما *** رمت تنجح فيه بلا حرج

21- واستغن به في الخصاصة لا *** تهرق ماء وجهك في الهمج

22- واصرف الوقت في حسن طاعنه *** واقتف المصطفى لتكون نجي

23- قد أتى رحمة للورى كلهم *** فهداهم إلى أسنى النهج

24- قد دعا الله بخير دعا *** ونفى عنا كل الحرج

25- وأتى بالقرآن معجزة *** بهرت من مضى والذي سيجي

26- فاستمسك بعروته دائما *** ولحضرته بالحضور لج

27- فهو باب الله لحضراته *** من يردها بالخير لم يعج

28- كل ما جاء من نعم للورى *** فعلى يده بالكمال تجي

29- وبه بشرت سائر الأنبياء *** وببشراهم سر كل شجي

30- وبه الأولياء صلوا *** وغدا صحبه مثل السرج

31- فاسأل غنى الدارين به *** تحرز المقصود بلا حرج

32- ناده فب ناداه او غيره *** فيمد لك الخير كالشبج

33- يا خير الله ومنقذهم *** من رادهم في الموفق حرج

34- كن لي في الأحوال بما *** يصلح الأحوال من الخمج

35- كن لي شافعا آخذا بيدي *** يوم يؤتى بالشخص كالبذج

36- فلأنت الذي شرفه *** فعلا عي العلا أعلى الدرج

37- ولأنت الذي قد قاق السوى *** بكمال مدى الدهر مبتهج

38- ولانت الذي بالحق غدا *** منقذا للحق من الهرج

39- ولأنت مفرج كربتنا *** عند ياس الناس من الفرج

40- فعليك السلام بغير انتها *** يعبق الكون من أزكى الأرج

41- وعلى كل الآل والصحب مع *** من يواليهم كل الأبج

فهرس الكتاب

1- كلمة عن هذه الطبعة:

2- تقديم:

3- مقدمة الشارح

4- آخر الكرب أو الفرج:

5- الرضا بالقضاء والقدر يصفي القلوب من المرارة والكدر:

6- التسليم بعدل الله اساس الإيمان:

7- لا راد لحكم الله:

8- أعطى كل شيء خلقه ثم هدى:

9- التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب:

10 – الصبر مفتاح الفرج

11- الصبر مر المذاق

12- الشكر على النعم علامة الإيمان

13- الاعتماد على مجرد العمل يؤدي إلى الخسران

14- الركون على الله في السراء والضراء

15- الثقة بالمولى ساعة الضيق

16- لطف الله عم كل خلقة

17 - حسن الظن بالله علامة الإيمان

18- الله مولى الإحسان والتفريج

19- الفرار إلى الله ساعة الشدة

20- كل شيء هالك إلا وجهه

21- اليقين بالأجل

22- الدعا مفتاح الحضرة الإلهية

23- الاستغانة بالله في الحاجات

24-الاستغناء بالله في الخصاصة

25- سر النجاة والمناجاة في طاعة الله

26- الرسول رحمة المهداة

27- الرسول بالمؤمنين رؤوف رحيم

28- معجزة القرآن خالدة

29- القرآن باب الحضرة الإلهية

30- الرسول باب الله

31- الرسول قاسم النعم الإلهية

32- الرسول بشارة الأنبياء

33- الرسول مرقي الأصحاب والأولياء

34- التوسل بالرسول ينسل السعادة

35- الرسول ملجا الملهوفين

36- الرسول شفيع الخلق يوم البعث

37- الاستناد إلى الله منجاة

38- التماس الشفاعة من الشافع الأكبر

39- الرسول محل التشريف

40- الرسول أفضل الخلائق

41- الرسول منفذ الخلق

42 الرسول مفرج الكربات

43- صلاة على الله على الرسول

44- صلاة والسلام على الاول والأصحاب

45- الملحق الاول: متن قصيدة المنفرجة لسيدي أحمد سكيرج الانصاري محل هذا الشرح المبارك

46- الملحق الثاني: دعاء لتنزل الخيرات والبركات بقلم الخليفة الحاج مجمد انياس

+221 77 416 53 59 / +221 77 328 30 29